

هل من اتحال في الأدب الانكليزي ؟ للسيد جريس القسوس

أخي ح . ش :

لقد مضى نحو عام على رسالتك التي بشت بها إلى تطلب فيها أن أشرح لك المشكلة الشكسبيرية التي تثار من حين إلى آخر . واليوم أراك تبادرني بمؤال آخر قلما التفت له الباحثون في الأدب الانكليزي . وقيل الاجابة على سؤالك لا بد من لفت نظرك إلى الفصل المتع الذي عقده الدكتور طه حسين تحت موضوع : « ليس الاتحال مقصوراً على العرب » ، في كتابه « الأدب الجاهلي » بين فيه أن الاتحال لم يقتصر على العرب ؛ بل كان عند الأمم القديمة ، كاليونان والرومان ، ولا أعلم هل في الآداب الأوربية الحديثة ، خلا الانكليزية ، شيء من هذا ؛ وكل أمل أن يتعاون الباحثون في الأدب على بحث موضوع الاتحال في آداب الأمم الحية ، لعلهم بذلك يتوصلون إلى نتيجة مرضية ، تشفي الليل ، وتبهر السبيل أمام الباحثين في موضوع الاتحال عند العرب . أما في الأدب الانكليزي ، فلم يُعرف الاتحال ، على ما أعلم ، إلا في القرن الثامن عشر ؛ وقد يكون هناك شيء منه في غير هذا القرن ، لكنه ضئيل فانه إذا قبس بما عُثرى إلى الشاعرين الكبيرين James Macpherson جيمس مكفرسن ، و Thomas Chatterton توماس تشارترن من الاتحال

— ٢ —

من هو مكفرسن ؟

وقبل التطرق إلى البحث في الاتحال المنسوب إلى هذين الشاعرين ، لا بد من كلمة مقتضية ، نترجم بها لكليهما ، ذلك لما للحوادث في حياتهما من علاقة متينة بموضوع هذا البحث . لهذا نشرع بأدى ذى بدء بمكفرسن فنقول :

ولد جيمس مكفرسن قرب كنفوسى Kingussie ، في سكوتلندا ، في ٢٧ أكتوبر سنة ١٧٣٦ . وكان أبوه مزارعاً

وضيع النسب ، فقير الحال ؛ لكنه رغم ذلك استطاع بحذقه ودهائه أن يدخل ابنه جامعة أبردين Aberdeen وبدما جامعة أدنبرغ Edinburgh . ولقد عُرف الشاعر صغيراً بالنبوغ الأدبي فألم بالشعر الغالليق Gaelic إلاماً كبيراً ؛ ونظم وهو تلميذ ما ينيف على أربعة آلاف بيت من الشعر ، نشر بعضها تحت عنوان « الأنجاد » The Highlands سنة ١٧٥٠ ، وأهل البعض الآخر لأمر ما

ولقد زاده ولوعاً بالأدب ما لاقاه من تشجيع أسدقائه له على نشر منظوماته . ففي نيوفات Neofat مثلاً التقى بيجون هوم John Hume وأطلعه على بعض قصائده ، فأعجب بها ، وأشار عليه بنشر بعضها ، خاصة ما ادعى أنها مترجمة عن الشعر السكوتلندي القديم مثل « مقطعات من الشعر القديم جمعت في جبال سكوتلندا ، وترجمت عن اللغة الغاليلية » وهي في الأصل الانكليزي كما يلي :

(Fragments of Ancient Poetry, collected in the Highlands, & translated from the Gaelic or Ersis language)
(Edinburgh 760)

ليس هذا غريب ، فقد أمده الدكتور هيو ج بلاير Hugh Blair باعانة مالية مكنته من نشر هذه الأشعار ، ذلك لظنه بأن أكثر هذه الأشعار مترجمة غير موضوعية

وفي خريف سنة ١٧٦٠ ، زار الشاعر بعض القرى السكوتلندية ، وعثر فيها على مخطوطات قديمة فافتتن بها ، حتى أنه ما عثم أن ترجم أحدها بمعاونة الأديبين الكابتن موريسن Captain Morrison والقس أ . غال Rev. A. Galle

وفي سنة ١٧٦١ ، أعلن اكتشافه لقصيدة حماسية Epic موضوعها فنغال : Fingal نشرها تحت عنوان ضخم هو « فنغال في ستة كتب ، مرققة بقصائد أخرى متفرقة للشاعر أوسيان ابن فنغال ، مترجمة عن اللغة الغاليلية »

وعنوانها الأصلي هو : —

(Fingal, an ancient epic poem Six Books, together with several other poems composed by Ossian, the son of Fingal, translated from the Gaelic language)

أما Fingal فهو الاسم الذي وضعه مكفرسن للبطل الأيرلندي الخرافي (فن) Finn الذي آزر كوثون حاكم أيرلندا ، ووقف معه في وجه خصمه العنيد سواران Swaran ملك لوخلين Lochlins حتى تمكن في النهاية من قهره ، وإيقاعه في الأسر

ودكتاتور الأدب في القرن الثامن عشر ، أول من نسب إلى مكفرسن انتحال أשמارة ، وإدعاه أنها مترجمة من الغاليلية . فقد نشر جونسن سنة ١٧٧٥ كتيباً اسمه « رحلة إلى جزر اسكوتلندا الغربية » *A Journey to the Western Islands of Scotland* هاجم فيه مكفرسن هجوماً عنيفاً ، مبيناً أن مكفرسن إنما عثر على بعض الأشعار والمقطعات القصصية في الشعر الغاليلي القديم ، فحك من هذه المقطعات تلك القصائد المطولة ، التي ادعى أنها مترجمة ، ولقد زاد موقف مكفرسن اضطراباً ، ورأى جونسن وغيره من خصوم مكفرسن ، تأكيداً ، أن الشاعر السكوتلندي ينشر الأشعار الأصلية في صيغتها الأولى ، فيكون بذلك قد برر موقفه ؛ ورد طعنات خصومه إلى صندوقهم ؛ وعذره في ذلك عجزه عن القيام بنفقات النشر ، وحين لم يستطع أن يصمد أمام الأدباء المعاصرين الذين اتقلبوا جميعاً خصوماً له ، لم يردأ من الكوف على نظم بعض القصائد ، والادعاء بأنها الآثار الأدبية الأصلية ، التي نقل عنها

ولقد أثبتت بمد وقائه آراء متضاربة ، حول صحة هذه القصائد ؛ واتسم الأدباء إلى خصوم وشيعة . ومن أشهر خصومه ملكولم لينغ *Malcolm Laing* ؛ فقد بين في ملحق كتابه « تاريخ اسكوتلندا » ، سنة ١٨٠٠ ، أن الأشعار الأوشانية *Ossian Poems* ليست مترجمة ، بل نظمها مكفرسن ، وغزاها إلى غيره

وطرق هذا الموضوع أدباء فرنسيون وألمان إخصائين في الأدب الكلتية ، ولفتوا أنظار مؤرخي الأدب إلى تقطع مهمة تكشف عن الناحية المهمة من هذا الموضوع الخطير

ومن خصومه أيضاً الدكتور دوغلاس هايد *Dr. Douglas Hyde* فقد ألف كتاباً اسمه *Who were the Finians* ذكر فيه أن مكفرسن عرف الاسم الحقيقي لفنغال تمام المعرفة ، إنما توخى التحريف والتحويل في هذه الأسماء ليوم الأدباء أن أسماء أشخاص قصائده ، إنما هي مترجمة ليس إلا

ولقد عرض اسكندر مكينيان *Alexander Maclean* في فصل

قيم موضوعه : *Who were the Feinn?* في كتابه : قضايا الجمعية الغاليلية في غلاسكو *Transactions of the Gaelic Society of Glasgow* ، مختلف الآراء والنظريات المتعلقة بهذا الموضوع ، وجماعة ذلك الكتاب تتضمن خلاصة ما وصل إليه معظم الباحثين

وفي سنة ١٧٦٣ ، نشر قصيدة أخرى حماسية ، اسمها *Temora* ومجموعة شعرية موضوعها *Works of Ossian* أما *Temora* هذا فاسم قصر ملوك أستر *Ulster* ؛ وفي هذه القصيدة تنمى الحوادث الواردة في فنغال *Fingal* أما أوشان *Ossian* فهو ابن فنغال نفسه ؛ وقد كان فارساً منواراً ، وشاعراً مجيداً ؛ عاش على ما جاء في الأساطير الغاليلية في القرن الثالث ق . م . ، وإليه يمزو مكفرسن وغيره من الأدباء هذه المنظومات الحماسية الرائعة ، التي تدور على بطولة فنغال وقومه ^(١)

وجميع هذه الآثار الأدبية التي نشرها مكفرسن ، معلناً أنها مترجمة موضوعة بأسلوب أقرب إلى النثر منه إلى الشعر ؛ ذلك لما فيه من التسجيع والايقاع المتكلف ويعد أسلوب مكفرسن الأدبي من أروع الأساليب وأجملها وموضوع أدبه من أبعث المواضيع أثرأ في تهجيل الحركة الابتداعية *Romanticism* ونشرها قبيل مجيء وردزورث . ولا يقتصر نفوذه على الأدب الانكليزي فحسب ، بل تمداه إلى الأدب الأوروبي عامة ، والألماني خاصة . فقد ترجمت منتوجاته إلى أغلب اللغات الحية وكان غوته وهردر *Herder* الشاعر والنقاد الألماني الشهير من هواة أدبه

ويروى أن ترجمة كيساروتي *Cesarotti* الإيطالية لقصائد مكفرسن ، كانت من أحب الكتب إلى نابليون وبعد وجوعه من رحلاته الكشفية في سكوتلندا ، قلب مكفرسن في وظائف شتى ، فن سكرتير للجنرال جونستون *Johnston* في جزيرة فلوريدا ، إلى عضو في البرلمان ؛ وهو في أثناء ذلك لا ينقطع عن الاشتغال بالأدب ، والنشر ، وأم ما نشره ، خلاف ما عزاها إلى غيره من الترجمات الشعرية ، كتاب « سر تاريخ بريطانيا العظمى » ، ولقد ظل هذا أدبه ، حتى وافته المنية في ١٧ فبراير سنة ١٧٩٦ ، فدفن في زاوية الشعراء في ويستمنستر أبي

مكفرسن والانتحال

كان صموئيل جونسن *Johnson* النقاد الانكليزي الشهير

(١) انظر أيضاً هذه القصائد الرائجة في كتاب (آلام فرتر) بيوه

ترجمة صاحب هذه المجلة

ولا في أقوال أنصار مكفرسن التحزين ، إنما تطلب في قول فنة
تقف موقف العدل والحق من هذه المسألة

والقيام يقصر عن التعرض لآراء جميع الذين يقفون هذا
الموقف لكننا نكتفي بذكر أعظمهم شأنًا وأبدم أثرًا ، وأقربهم
من الحقيقة ، أعني به الكاتب الكبير ، والنقاد الاسكتلندي ،
الشهير كامبل أوف إسلاي Campbell of Islay فقد وضع مؤلفًا
في هذا الموضوع اسمه : (قصص شعبية في الجبال الغربية)
Popular Tales of the West Highlands فند فيه زعم جونسن
أن مكفرسن نظم آثاره الأدبية نظرًا ، دون أن يتأثر بأشعار طامية
قديمة ، أو يقتبس منها أو ينقل عنها ، وإن هذه الحوادث والأسماء
الواردة في منظومات مكفرسن إنما هي موضوعة مختلقة ،
وردت ليست مترجمة . فهو يقول أن الأبطال الأوشانيين ، الذين
وردت أسماؤهم في قصائد مكفرسن ، عاشوا بحق ، وعرفوا قبل
أن يدون مكفرسن هذه الأشعار بأعوام

(البقية في السداد القادم)
جريس القروس

لجنة التأليف والترجمة والنشر

تاريخ المسألة المصرية

EGYPT'S RUIN

أصدق كتاب في تاريخ مصر ، ألفه تيودور دنتشتين
مكاتب اللواء السالي وصديق المرحومين مصطفى كامل باشا
ومحمد فريد بك ، وكتب مقدمته المتر ولغورد بلنت صديق
مصر الحميم ، ويمتاز بدقته وأمانته التاريخية وإنصافه الأمة
المصرية ودعوته إنجليترا أن تبر بوعدها وتجلب عن وادي النيل
خيرها وخير الانسانية . وهو كما قال المتر بلنت : « ثمرة جهد
عظيم ، بذله عقل شديد الملامة لموضوعه : لما طبع عليه من
الدقة المتناهية ، ولحاطته بالموامل الخفية التي تسيطر على
الشؤون المالية الأوربية ، والتي تنذر إنجليترا بزوال ملكها »
ترجمه الأستاذان عبد الحميد الجادى ، ومحمد بدران ، ويطلب
من اللجنة والمكاتب الشهيرة ، وثمنه عشرون قرشًا

في هذه المسألة ؛ وخرج من هذا كله بشيعة معقولة هي أنه
لم يعرف في التاريخ شخصية باسم Fian أو Finn ؟ إنما جل ما هناك
بعض مقطعات في الشعر الشعبي الخراقي ، فيها بعض الاشارات
إلى أبطال إيرلنديين ، لم يثبت التاريخ وجودهم في عصر ما .
أما انتساب (فِن) إلى كورماك Cormac أحد ملوك إيرلندا القدماء
كما هو ظاهر في القصيدة « فنغال » ، فهذا أيضًا عار عن الحقيقة
إن هو إلا نتاج زائف لخيال مكفرسن وتصويره الشائق

ويذهب مكيبان إلى أبعد من هذا ، فهو يرى أن اتخاذ
اليرلنديين (فِن) بطلا قومياً ليس بالعجيب ؛ إذ كَلَّم أمته ،
عند نشأتها وتكوينها الاجتماعي والأدبي ، أبطال خياليون ،
تنسج حول شخصياتهم الأبطال والخرافات المتعددة ، فـ (فِن)
بالحقيقة إلا بطل شبيه بهرقل ، وتيسوس ، وبرسيس .
ولا يسد أن يكون (فِن) هذا إلهاً عليا ، قدسه قومه ،
وجعلوا منه بطلاً قومياً . حتى (أوشان) الشاعر الذي ينسب
إليه مكفرسن نظم كثير من القصائد التي تدور حوادثها على
شخصية (فِن) ؛ أقول ، حتى هذا الشاعر ، في رأى مكيبان ،
وليد الخيال ؛ لم يش قط في عصر ما . أما تفسير كونه ابن فنغال
فليس بالأمر المسير ، فهو لا يختلف بذلك عن غيره من الآلهة
القديمة التي عُرفت بالاختلاط مع البشر ، والسامحة معهم في
الحروب ، ومختلف الأحداث ؛ وفي كثير من الأحيان الزواج
مع فئة مختارة منهم

أما جواب مكيبان الأخير على القول السائد ، (أن فنغال
طاش وأوشان أنشد) Fingal lived and Ossian sang

فهو إنهما طاشا وأنشدا في نفوس الشعب النالتي ،
وأخيلهم الخصبية . لأن فاك الشعب وجد في هاتين الشخصيتين
الخياليتين ، مثلهم القومية والأدبية العليا مجسمة

أما أنصار مكفرسن فيكتفون بالتشيع لصاحبهم ، دون
الاتبان يبراهين وحجج دامنة ، تدحض آراء خصومهم دحضًا ،
وتدفع بهججهم الضيفة دفعا ؛ وخلاصة ما يروونه أن هذه الأشعار
تاريخية ، وأنها من نظم شاعر طاش في القرن الثالث ق . م .
وشهد جميع الحوادث الحربية ، التي ورد وصفها في تلك
المنظومات الرائعة

والحقيقة الراهنة لا تتشد في قول جونسن انظم اللدود ،